تعاليم سقراط

(تابع ما قبله)

واجبات الآباء والامهات

او التربية والتعليم

قال سقراط : ان من الاعباء التي يشترك فيها الزوجان تربية الاولاد وهو يخص الام بالتربية مدة سني الحداثة ويلقي على عاتق الاب امر العناية الخصوصية بالتعليم . قال كزنيفون : « لم يكن من دأب سقراط الاسراع في تأهيل الشبيبة للكلام والعمل بل كان يريد بادئ بدء ان يوحي اليها بالحكمة » . وعنده (اي عند سقراط) ان التأهيل للكلام والعمل مجرداً عن الحكمة يزيد الاحداث مقدرة على اتيان السيئات

واول موضوع كان يحاول بحثه روح الحكمة في نفوس الاحداث انما هو التقوى فكان يبين لهم وجود عزة الهية ويعتقد ان احترام الالوهية رأس الحكمة وان آثار التقوى هي اول ما يجب ادخالها في نفوس الاحداث . واذ كان عالماً ان القناعة ضرورية لمن يبغي في حياته الصراط المستقيم كان يمد الاحداث لهذه الفضيلة فضيلة القناعة بواسطة خطبه مظهراً لهم ان الطمع ينزع من القلب حرية العمل الطيب وحرية العقل ويقيم بين الناس وبين الفضائل سداً منيعاً (١)

والموضوع الثاني من تعاليمه كان الشجاعة لانه كان يعترف بوجود الشجاعة الادبية . قال في هذا الصدد : كما ان من الاجسام ما يتغلب طبعاً على غيره بفضل القوة كذلك من النفوس ما هو اقوى بطبيعته من غيره . فمن الناس من قد شبوا تحت سماء واحدة وسرت عليهم شرائع واحدة ورضعوا لبان اخلاق واحدة ولكنهم مع ذلك يختلفون كثيراً بعضهم عن بعض من حيث الشجاعة . على ان المطالعة والرياضة من شأنهما ان يزيدا المرء استعداداً لهذه الفضيلة . الا ترى تلك الراقصة التي تلقي بنفسها على دائرة السيوف القائمة رؤوسها الى الاعلى فتخرج من بينها بلا اذى في حين ان المتفرجين ترتعد فرائصهم لهذا المنظر . — الى ان قال — واظن ان الذين يرون مثل هذا المنظر لا يتكرون ان الشجاعة تأتي بالمران اذ ان تلك الراقصة مع كونها من الجنس الضعيف تنقض على السيوف القواطع بملء الجسارة والاقدام

(١) راجع فصل القناعة الذي مرّ بك

ثم تعليم العدل فانهُ كان همّ سقراط الثالث . فقد سمعهُ هيبياس [١] ذات يوم يقول : اذا شاء احدٌ ان يتعلم صناعة الاحذية او البناء او الحدادة او الفروسية فلا يصعب عليهِ وجود معلّم لهُ . ويقولون ايضاً انهُ لو اراد احدهم تعليم حصان او ثور نوجد لها من المعلمين خلقاً كثيراً . اما من شاء تعلم العدل او تعليمهُ لابنهِ او لخادمهِ فلا يجد من يقصدهُ او يركن اليهِ فاجابهُ هيبياس : يا سقراط اراك تكرّر ما قد سمعتهُ منك من زمن بعيد . فقال لهُ سقراط : هلاّ تكرّرت انت دائماً المعنى الذي لقولهُ — فاجابهُ : هذا مما يسوءني ولذلك اجتهد في ان اقول دائماً شيئاً جديداً . فقال سقراط : عجباً وهل اذا سئلت الآن هل اثنان واثنان اربعة لا تجيب كما كنت تجيب بالامس .

وكان سقراط يحثّ دائماً على تعليم العدل ويتولى امر تعليمهِ بنفسهِ ويعدّ احترامهُ من احترام الشريعة لاتحادهِ بها ولاعتبارهِ ان الشريعة المكتوبة قائمة في الغالب على الشريعة غير المكتوبة يعني على الشريعة الطبيعية او الالهية وانهُ يجب احترام الشريعة المكتوبة حتى يتفق القوم على تغييرها . وعلى هذه القاعدة الادبية كان يعدّ الاحداث لعلم المنطق وقد عرّفهُ بانهُ « صناعة تمييز الاشياء بالنوع » وهو يعدّ هذه الصناعة الواسطة الوحيدة للحصول على الآراء الجلية في كل شيء وبالتالي اساس الصواب والفصاحة وان شئت فقل السياسة [٢]

في تعليمهِ الشبان كان يحاول ان يجعل كل واحد من تلاميذهِ قادراً على كفاية نفسهِ في النهج الذي كان ينهجهُ . ولهذا كان يعنى بالبحث عن نوع العلم الذي كان يميل اليهِ كل واحد منهم . ويبذل قصارى الجهد في القاء كل ما كان يحويهِ صدرهُ الرحيب من العلوم والمعارف عليهم مما هو لازم لكل انسان في هذه الحياة . وفي العلوم التي كان يجهلها كان يدفع تلاميذهُ الى اكبر اساتذة عصرهِ لاخذها عنهم . وكان يبيّن درجة العلم التي يجب على كل واحد تربّى تربيةً حسنة ان يصل اليها . ففي علم الهندسة مثلاً كان يرى انهُ يكفي ان يعرف المرء قياس ارض يرغب في شرائها او بيعها وانهُ لا حاجة الى اندفاع جميع الناس فيهِ الى حد المسائل العويصة لانهُ لم يكن يرى في هذا العلم فائدة مطلقة بل كان يقول انهُ علم ربما استغرق حياة انسان بكاملها وصرفهُ عن معرفة اشياء اخرى الزم لهُ منهُ . وكان من رأيهِ ان يتعلم الناس ما يكفي من علم الفلك لمعرفة الوقت في دجور الظلام ومعرفة الشهر والسنة

(١) هو ابن فيستراتس الذي حكم البنا مع اخيهِ ميلارخس في القرن السادس قبل المسيح

(٢) وقد سمّاهُ الحكماء بالميزان لان الانسان يزن بهِ ما يحصلهُ من المباحث

مما هو لازم للاسفار والملاحة والجندية والزراعة . على انهُ كان يحكم على معظم الناس لزوم معرفة الكواكب التي ليست داخلة في دوران الفلك العام والسيارات والنجوم المتحيرة او مقدار البعد الذي بينها و بين الارض . وكذلك حركة الارض وعللها مما قال بهِ علماؤها . وكذلك كان ينكر على الناس البحث عن كيف رتب الاله كلاً من الحوادث السماوية على حدة لاعتقادهِ ان معرفة هذه الاسرار ليست من شأن البشر وان الآلهة لا يحبون ان يبحث الانسان عما ارادوا كتمانهُ عنهُ . وان الذي يبحث في هذا الامر انما يعرّض نفسهُ للشطط الذي وقع فيهِ اناكساغورس[1] . وكان يطلب من الناس ان يتعلموا الحساب الى حد المنفعة فقط حتى لا يضجع من الامور الخالية من النفع . وينصح كثيراً لتلاميذهِ ان يهتموا بامر الصحة سواء كان باستشارتهم المعلمين المختصين بهذا العلم او بمعرفة انواع المأكل والمشرب والعمل التي تلائمهم اكثر من غيرها حتى يصبح كل واحد خير طبيب لنفسهِ . وكان يشير باستعمال الرياضة البدنية ليس فقط استعداداً للحرب والذود عن الوطن والاصحاب والنجاة من الاسر والهلاك بل استعمالاً للفكر ايضاً لان الجسم مرتبط بالعقل وكثيراً ما يأتي عن انحرافهِ فقد الذاكرة وثبوط العزيمة وسوء الخلق حتى والجنون ونحو ذلك من مزعجات النفس[2] . وكان يأسف لكون الحكومة لم تعنَ بانشاء محال عمومية للرياضة البدنية استعداداً للحرب ويشير على الاهلين ان يبدّوا هذا الخلل باستعمالهم الرياضة الخصوصية

تلك هي التربية الواجبة على اب العائلة نحو اولادهِ فانها بمثابة استعداد عام لجميع اطوار الحياة ومطالبها وهي تبدأ بالدين وتواصل بتعليم الآداب التي هي تربية القلب وتنتهي باحراز المعارف التي هي تربية العقل

في الواجبات نحو الخدم

وضع سقراط هذه الواجبات في عداد الواجبات العائلية وسمّى الخدام « بناس المنزل » والتي بشأنهم من التعليم الادبي ما يضارع تعليمهُ عن الواجبات بين الزوج والزوجة بخلاف حكماء اليونان الذين تقدموهُ فانهم لم يقولوا عن الخدم شيئاً سوى انهُ لا يجب معاقبتهم وهم سكارى . فهو يوصي الاسياد او ارباب البيت بالعمل على اكتساب محبة خدمهم بواسطة الاحسان اليهم . والسر في اكتساب هذه المحبة هو ان يعطي المولى خادمهُ جانباً من الخيرات التي ينعم الاله عليهِ بها ويشركهُ في نعائهِ ورخائهِ . واذا كان الخادم من الذين لا يطمعون في المنفعة

(١) فيلسوف يوناني توفي سنة ٤٢٨ قبل المسيح (٢) ومن الاقوال المأثورة قولهم : العقل الصحيح في الجسم الصحيح

المادية وكان مهملاً في اعماله ضعيف الهمة فيمكن استفزاز حميته بواسطة الكلام والعمل اما اذا كان من ذوي الهمة والنشاط الذين لا ينظرون الى الدرهم والدينار فلا بدّ من توجيه عبارات المديح والاطراء اليه . على انهُ يلزم ان تتوفر فيهِ الشروط التي يريد ايجادها في خدمهِ كأن يكون برًّا بهم اذا هو طلب ان يبروا بهِ او يكون ذا جد واجتهاد اذا تطلّب منهم الجدّ والاجتهاد . من الاسياد الصالحين من يكون لهُ احيانًا خدام فاسدون وربما توصل الى اصلاح فسادهم وتقويم اعوجاجهم ولكني لم ارَ خداماً صالحين عند مولى فاسد

ان الحيوانات انما يلين جانبها اذا حرّك الانسان فيها عامل اللذّات مع التعب وعليهِ أرى هذا النوع من التربية صالحًا للخدم ايضًا لان رب البيت باشباعهِ بطون خدمهِ يرى منهم جهداً كثيراً وعناءً كبيراً . على انهُ من الخدم من هم اصدقاء الشرف وحلفاؤهُ فاولئك يكفي لاثارة حميتهم عبارات المديح الذي لا يطمعون في شيء سواهُ . ثم انهُ يجب التمييز بين خادم وخادم من حيث اللباس فلا يعطى الكل لباساً واحداً من صنف واحد بل يعطى الاحسن للاحسن منهم ذلك لان الذي يجدُّ ويشتغل اكثر من غيرهِ تحور عزيمتهُ اذا رأى من لا يتعب مثلهُ يأخذ اجرة نظيرهُ (١)

ثم تكلم سقراط عن معاقبة الخدم فقال انهُ لا يجوز للسيد ان يعاقب خادمهُ على ما شاءت اهواؤهُ بل يجب ان يعاقبهُ بمقتضى شرائع دراكون (٢) وصولون والشرائع المدنية . ذلك لان الشرائع الاولى لا تحوي سوى العقاب على الذنوب اما الثانية فانها تجزي الخدم على خدمهم الطيبة بحيث يصير الامناء منهم اغنى من الذين يطمعون في المكسب فيقتدي بهم هؤلاء فيقيمون على الولاء والامانة — الى ان قال — اما اذا استمرّ الخدام الفاسدون على فسادهم بالرغم من الاجور الحسنة التي يتقدونها فهم غير قابلين للاصلاح والتقويم و يلزم فصلهم عن الخدمة . اما الذين يمارسون العدل لا لمجرد المنافع التي تعود عليهم من ورائهِ فقط بل نظراً للثناء العاطر الذي يلحقهم من اجلهِ فاولئك يجب معاملتهم معاملة الاحرار ولا يكفي ان يجازوا بالمال فقط بل يجب اكرامهم ايضاً كاناس مستقيمين

الاسكندرية سليم عوّاد

---

(١) قال الاستاذ غارنيه : هذا ما كان يقولهُ سقراط منذ أكثر من الفي سنة اطباء عصرنا المطريون الذين يريدون تقرير مبدإ المساواة بين الاجراء بالرغم من تفاوت العمل

(٢) كان حاكماً اثنيًا وشارعها وقد سن شريعة قيل انها كتبت بمداد من الدم لشدة صرامتها وربما يضرب المثل في القوانين الهائلة بتلك الشدة